التنصير الفرنسي في الجزائر
١٨٣٠-١٨٧٦

فاطمة حسين المفرجي
Fatma_hussen2012@yahoo.com

ملخص الدراسة :

يتناول هذا البحث التنصير الفرنسي في الجزائر بعد احتلالها وانتزاعها من الدولة العثمانية بين عامي (١٨٣٠- ١٨٧٦)،إذ شهدت الجزائر أشد هجمة عنصرية فرنسية قامت بها الإرساليات التنصيرية بزعامة البابوية لنشر النصرانية بين الجزائريين بعد أن فشلت كل المحاولات الفرنسية في استخدام القسوة والبطش وعملية استيطان الجزائر بزيادة الهجرة الأوربية إليها والنعرة العنصرية بتوزيع الأراضي الخصبة إلى المستوطنين وإبعاد أهل البلاد إلى الأراضي الصحراوية. فلم يبق لها إلا الإرساليات التنصيرية فهي الوحيدة القادرة على محو الشخصية الجزائرية وطمس معالم الدين الإسلامي فيها بتحبيبها إلى النصرانية بعد أن أعلنت السلطات الفرنسية تهديم المساجد وتحويل قسم منها إلى كنائس وإعلان إلزامية التعليم في المدارس باللغة الفرنسية وتنحية اللغة العربية إلى المرتبة الثانية.

الكلمات المفتاحية: التنصير الفرنسي

Abstract
This research examines the evangelizing the fresh in Algeria after the occupation and flaying of ottoman Empire between (1830-1876)Algeria notorious attack French racism ,carried out by missionary missionary led papal to spread Christianity among Algerians after each failed French attempts to use cruelty and oppression and settlement process Algeria in creasing European immigration the gadfly racism distribution fertile land dimensions setters and the dimensions of the people of the country eland of desert did not keep her missionary missionary they are able to erase personal Algerian and obliterate the Islamic religion land marks pthabibha to Christianity after it announced French authorities de moils hed morgues and convert manually churches and the announcement of the department of compulsory education in schools in and the removal of the Arabic langue to second place .

.key word: French Christianization

التنصير الفرنسي في الجزائر ١٨٣٠-١٨٧٦

المقدمة :

مارست البعثات التنصيرية نشاطا دينيا واسعا في بعض ولايات الدولة العثمانية، وتنتمي هذه البعثات إلى عدد من الدول الأوربية فمنها الكاثوليكية والبروتستانتية والأرثوذكسية، مارس أفرادها نشاطا دينيا مكثفا تستر وراء نشاط تعليمي واسع النطاق تمثل في إنشاء المدارس والمعاهد والكليات في شتى أنحاء البلاد التي تواجدت فيها لا سيما الجزائر، هدفت البعثات التنصيرية لا سيما في الولايات العربية إلى نشر العقيدة النصرانية بين المسلمين وخاصة المذهب الكاثوليكي الذي سعت البعثات الفرنسية لنشره بالقوة في الجزائر وقد مارست كل السبل والأساليب في سبيل نجاح مهامها التي وجدت لأجلها في الجزائر، وقد وضحنا ذلك في هذا البحث المتواضع الذي تكون من تمهيد وأربعة محاو، جاء المحور الأول تحت عنوان :" البدايات الأولى للحركات التنصيرية "، وضحنا فيه تعريف التنصير والبدايات التي قامت بها الحركة التنصيرية في الجزائر منذ القرن الرابع عشر .

أما المحور الثاني فجاء بعنوان :" أهداف فرنسا من التنصير "، وضحنا في هذا المبحث هدف فرنسا في القضاء على الشخصية العربية الجزائرية وإذابتها في المجتمع الفرنسي، وانتزاعها تماما من انتمائها العربي الإسلامي وهذا ما سعت

إلى تحقيقه السلطات الفرنسية في الجزائر بسياسة الفرنسة وإدراج اللغة العربية في المرتبة الثانية، و وضحنا محاولة فرنسا القضاء على الدين الإسلامي من طريق تدمير المساجد وفي المبحث شيء من التوضيح .

أما المحور الثالث فكان تحت عنوان :" مجاعة الستينات والدور التنصيري فيها "، وضحنا فيه ما تتعرض له أفريقيا بصورة عامة من المجاعات بسبب الكوارث الطبيعية من الزلازل وشحه نزول المطر، مع ارتفاع لدرجات الحرارة، فضلا عن الضرائب التي تفرضها السلطات الفرنسية المحتلة، وبما إن الجزائر واحدة من دول قارة أفريقيا فكان لها نصيب من الجفاف والمجاعة التي فتكت بها لا سيما في الستينات من القرن العشرين وقد وضحنا الدور التنصيري الذي استغل مجاعة الشعب لتنفيذ أغراضه وأهدافه في المنطقة .

أما المحور الرابع فجاء معنون : ب" سياسة فرنسا القمعية "، وفيه وضحنا السياسة الفرنسية في انتزاع الشخصية العربية بالقمع والعنف والقسوة إذ ألغت بعملها هذا كل حقوق الإنسان وحرية الديانة والتسامح، في حين كان للشعب العربي الجزائري المسلم ردة فعل وقوة لإثبات وجوده .. وقد استخدم الباحث في بحثه هذا عدداً من المصادر المتنوعة منها: كتاب " المغرب العربي الحديث من خلال المصادر " لمؤلفه دلندة وعبد الحميد الأرقش، وكتاب " الجزائر بين الماضي والحاضر " لمؤلفه أندري بريتان وآخرين، وكتاب " الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي دراسة تاريخية " لمؤلفه عبد الملك خلف التميمي .وأخيرا نرجو أن نكون قد وفينا في بحثنا المتواضع ما هدفنا إليه من تبيان القسوة والمأساة التي عانى منها الشعب الجزائري في ظل الاحتلال الفرنسي مدة البحث. ومن الله التوفيق

التمهيد :

كانت آيالة الجزائر واحدة من الآيالات التابعة اسمياً للدولة العثمانية تمارس نشاطها الاقتصادي والسياسي باستقلالية تامة عن العاصمة استانبول مع تمتعها بعلاقة حسنة وولاء للباب العالي. تميزت الجزائر بعلاقتها الحسنة مع الدول الأوربية لا سيما فرنسا فقد بذلت الأخيرة مساعي كبيرة للحفاظ على هذه العلاقة والصداقة مع الجزائر وقد توج هذه العلاقة باي الجزائر حسن عند قيامه بتجهيز الحكومة الفرنسية بالقمح والشعي، وحمى فرنسا من المجاعة أيام الثورة الفرنسية وحروب فرنسا(١)، على الرغم من هذه العلاقة الحسنة بين الجزائر وفرنسا غير أن الحكومة الفرنسية لم تزل تحوك وتدبر لسلخ الجزائر من الدولة العثمانية واحتلالها منذ زمن طويل تمثل في بحث قام به القنصل الفرنسي كيرسي(kuris)استمر في وضعه تسعة أعوام، وأكمل كيرسي مشروعه هذا عام ١٧٨٢م وقدمه إلى الخارجية الفرنسية عام ١٧٩١م (٢). وفي حكم نابليون الأول بعث عام ١٨٠٨م الجاسوس بوتان (Boutin)* برتبة ضابط في سلاح الهندسة للاستطلاع وتحديد المواقع الإستراتيجية ووسائل الدفاع التي تمتلكها الجزائر، ونجح بوتان بوضع خطة محكمة لعملية إعداد الحملة والغزو والوقت المناسب والثغرات التي يمر منها الجيش، غير أن خطة بوتان لم تنفذ إلا بعد اثنين وعشرين عاماً من وضعها(٣). بعد أن أدركت الإدارة الفرنسية وغيرها من الدول الأوربية خطورة البحرية الجزائرية على المطامع الأوربية في العالم الإسلامي لا سيما شمال أفريقيا وذلك بدفاع هذه البحرية عن ساحل البحر الأبيض المتوسط منذ إنقاذها للمسلمين الفارين من محاكم التفتيش الإسبانية، وأنها شاركت بإسناد الدولة العثمانية في معركة نافارين هذا دفعها إلى تنفيذ خطتها بإعلان الحصار على الجزائر عام ١٨٢٧م ومن ثم احتلالها بعد ثلاثة أعوام من الحصار عام ١٨٣٠م(٤) .

لقد صفقت لهذا الاحتلال كل الدول الأوربية وحكوماتها ورجال الكنيسة الذين استهلوا بهذا الغزو إذ صرح الكاردينال لافيجري(Lavegery) (٥) : "بأن الجزائر أصبحت لنا، أي ملكاً للعالم النصراني وأن فرنسا أصبحت حارس النصرانية الأولى في الشمال الأفريقي وعليها أن تعمل على إنشاء شعب نصراني حر لخدمة فرنسا في أفريقيا"(٦).

تعريف التنصير :

هو محاولة إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام واجتذابهم إلى الدين النصراني(٧)، أي زعزعة العقيدة الإسلامية وهو بذلك يمثل حركة سياسية استعمارية تستهدف نشر النصرانية بين دول العالم الثالث لا سيما المسلمين منهم مستغلة حالة الجهل والفقر والمرض لتتغلغل بين شعوبه من طريق وسائل الأعلام التقليدية من كتب ومطبوعات فضلاً عن التعليم والطب إلى جانب الأنشطة الاجتماعية والإنسانية والإغاثة الموجهة لمنكوبي الفتن والحروب والكوارث الطبيعية (٨).

بداية الحركات التنصيرية :

يعد القس الأسباني "ريمون لول(Rimol loll)(٩) أحد أساطين التنصير وأول من تولى التنصير بعد فشل الحروب الصليبية في العصور الوسطى كسلاح للسيطرة على البلاد الإسلامية وإضعاف الإسلام(١٠)، فتولدت فكرة استمالة المسلمين واجتذابهم إلى النصرانية بطرق سلمية ودية، وهي أساس التبشير للنصرانية(١١)، والقس لول أول من نادا بإيجاد كرسي للدراسات الشرقية الإسلامية في الجامعات الأوربية وذلك لدراسة الإسلام ونقده وتشويهه بإعداد دراسات غربية عنه(١٢)، وأشرف لول بنفسه على تعليم تلامذته في كلية "ميرامار"(Miramar) التي أنشأها لتعليم الرهبان والراهبات اللغة العربية حتى يسهل عليهم تنصير المسلمين (١٣). لقد أتقن لول اللغة العربية وجال في البلاد العربية مناقشاً علماء المسلمين، فقام بثلاث زيارات إلى أفريقيا الأولى إلى تونس عام ١٢٩٢م استمر بضعة أشهر انتهت بطرده بعد انكشاف أمره، والثانية إلى بجاية في الجزائر عام ١٣٠٧م انتهت بسجنه وطرده، والثالثة إلى بجاية أيضاً عام ١٣١٥م وفيها وقف على منبر مسجد بجاية ساباً نبي الإسلام"صلى الله عليه وعلى أله"مما أثار المسلمين من أهل بجاية وانتهت ثورتهم بقتل لول الذي طالما تمنى الموت على يد المسلمين ليكون شهيداً في ظنه. وكان لول قد قدم كتابين إلى البابا "سلستين الخامس" فيهما خطة للتنصير بين المسلمين تميزت خططه بهدفين الأول : أن تتخذ الكنيسة العلم والمدارس وسيلة للتنصير، والثاني: أن ينصر المسلمين بالقوة إذا لم تنجح فيهم الجهود السلمية(١٤). لذا بدأت الإرساليات التنصيرية منذ القرن الرابع عشر تتوافد على البلاد العربية والإسلامية ومنها الجزائر على شكل موجات من الرهبان والراهبات بأمر من البابوية في غزو فكري (١٥) لاستهداف الإسلام وقد عمل البارون "دو ويتز Do oets" عام ١٦٦٤م على تأسيس مدرسة كلية مهمتها تعليم أصول التنصير ووسائله ومن ثم تخريج منصرين يتقنون مهامهم (١٦).

أهداف فرنسا من التنصير:

هدفت السلطات الفرنسية إلى القضاء على الشخصية الجزائرية ثم إذابتها في المجتمع الفرنسي وسلخها نهائياً عن انتمائها العربي الإسلامي وهذا ما جاء على لسان وزير حربيتها كليرمون تونير(Clerment Tonnerre)*: "إنها حرب صليبية هيأتها العناية الإلهية لينفذها الملك الفرنسي الذي اختاره الله ليثأر من أعداء الدين والإنسانية –المسلمين ... لعل الوقت سيجعل من حظنا نحن الفرنسيين تمدين الجزائريين بجعلهم مسيحين "(١٧). وعليه اتفق المنصرون والساسة على إن الإسلام في أفريقيا يعد عدواً لفرنسا والكنيسة وإن تنصير الشعوب الإسلامية يدخل في إطار مصالح السياسة الأوربية وكذلك تطلعات الكنيسة والفكر النصراني عموماً(١٨)، وبذلك اشتدت الإرساليات التنصيرية لا سيما بعد انتهاء مدة المقاومة الوطنية بزعامة الأمير عبد القادر الجزائري (١٨٣٢-١٨٤٧م) في الجزائر وتمكن القوات الفرنسية الغازية من السيطرة على البلاد، وتميزت هذه الإرساليات بأنها موفدة من الكنيسة لغرض تنصير المسلمين بالإنجيل، ومعظم أعضاء

هذه الإرساليات مثقفون من خريجي المدارس التنصيرية، هدفهم في كل بلد تأسيس كنيسة ومدرسة ومستشفى لغايات تنصيرية، وهذا نتج كما ذكرنا عن الفشل الكبير الذي لحق بالكنيسة في الحروب الصليبية، فقد أدرك الأوربيون أن انتصار العرب المسلمين يكمن في تمسكهم بالدين الإسلامي (١٩) فجاءت الإرساليات غزواً سلمياً بالدعاية واضعة لها أهداف تجسدت لا سيما في الجزائر من خلال :

أولاً : العمل على تثبيت الديانة النصرانية ونشرها محل الدين الإسلامي .

ثانياً : إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية (٢٠)،(سياسة الفرنسة).

أولاً : العمل على تثبيت الديانة النصرانية ونشرها محل الدين الإسلامي :

بعد احتلال فرنسا الجزائر في الخامس حزيران ١٨٣٠م بقيادة المارشال دي بورمون (De Bourmont) أمضت السلطات الفرنسية معاهدة استسلام مع داي الجزائر حسين، كان من بنودها احترام الدين الإسلامي وصيانة الحرية ممارسة الشريعة الإسلامية (٢١)، غير أن هذه المعاهدة سرعان ما ضربت عرض الحائط وتنكر لها الحاكم العسكري الفرنسي والمسوؤلين الفرنسيون وانتهجوا لذلك سياسة مغايرة تمثلت بالاستعمار والاستيطان الكلي والفعلي للجزائر وقد وجد في الاستيطان أفضل وسيلة لفتح البلاد وللتخفيف من كثافة الوجود العسكري فيها، و أرادوا منه تهيئة مجتمع أداري جديد بكل مدنه وقراه ومحاصيله الزراعية في الجزائر(٢٢). فضلاً عن غزو أهل الجزائر فكرياً بمحاربة الثقافة العربية الإسلامية (٢٣) فجندت الكنيسة الكاثوليكية الآلف المتطوعين من المنصيرين للتحريض والتعبئة الدينية مترافقة خطوة بخطوة من بدء إعلان الحملة (٢٤)، لتذليل الصعاب التي يواجهها الجند ببث روح الحماسة في نفوس الجند (٢٥). وعين أول أسقف للجزائر هو دو بوش (Do booch) في الأعوام (١٨٣٨-١٨٤٥م)اليد اليمنى لجنرالات الاحتلال (فالي Valee)* و(بيجو Bugeau)(٢٦) في حربهم ضد المقاومة الوطنية الجزائرية، وعمل أسقف الجزائر على الربط بين دور الكنيسة والاستعمار(٢٧) وهذا ما أكدته القوات المحتلة في صلوات كنسية خطب فيها كبير قساوسة الحملة فقال مخاطباً بورمون : "لقد فتحت باباً للمسيحية على شاطئ أفريقيا"وكتب بهذه العبارة مبشراً شارل العاشر ملك فرنسا(٢٨). وهذا حال جميع القس ورجال الكنيسة في حقدهم ومحاربتهم للإسلام فقد أعد المنصر الشهير لا فيجيري الإسلام أشد أعداء النصرانية وأن من واجبه محاربته واصفاً إياه بالقوة العمياء الخطيرة، ثم العمل على وقف نشر القرآن الكريم واقترح لافيجيري على فرنسا إما أن تطرد المسلمين إلى الصحراء بعيدين عن العالم المتحضر أو تسعى إلى تطبيق سياسة إدماج الشعوب عن طريق النصرانية، وهذه أمنية لافيجيري (٢٩) التي سعى إلى تحقيقها واهماً بأنه سوف ينجح لأنه لم يدرك بأن هذه القوة التي وصفها بالعمياء أنها مؤيدة ومنصورة من السماء، وأن السماء قد أرسلت نبي هذه القوة مبشراً ونذيراً للعالم أجمع .

إن السيطرة الفرنسية المرتبطة بالكاثوليكية هي سيطرة تبغي إبادة الشخصية العربية الإسلامية متزامنة بإبادتها للثقافات والحضارات، فهي تبدأ بطريقة ممنهجة ومدروسة على إنهاء الثقافة والحضارة ومسخ الإنسان لتجعله منقاداً دون أن يشعر بما تريده هذه السيطرة، ثم تمارس مبدأ الاستعباد للشعوب المسيطرة عليها(٣٠). لذا واصلت السلطات الفرنسية تعديها على الهوية الجزائرية ومحاولة طمسها وبالتوازي مع ما كان من نهب الثروات الوطنية، فوظف بورمون ما لديه من قوة للقضاء على الثقافة الإسلامية بعد أن شاهد كثرة المساجد في الجزائر فهدم الكثير منها وحول أعداداً كثيرة أخرى إلى كنائس أو ثكنات أو مستوصفات، وذلك لتيقن السلطات الفرنسية من دور المساجد وشيوخها في الحياة التعليمية عبر الزمن فهي محور الحياة السياسية والأدبية والتعليمية والقضائية، إذ يجتمع فيها الفقهاء والعلماء ويلتف حولهم الطلاب واللغويون

ويقومون بالتناظر والتخاطب والتشاحن وفي ذلك تمرن للمسلمين على قوة الخطاب، ويتم في المساجد تأدية حلقات للقرآن الكريم وهذا دور المساجد الأكبر في تربية المسلمين وتأدبهم بأدب القرآن الكريم ونتيجة لهذا الدور حاربت السلطات الفرنسية المساجد لإنهاء دورها في حياة الجزائريين (٣١) بعد عامين من احتلال الجزائر لم يتردد سافري (savary) صاحب شرطة سابق في عهد نابليون بونابرت والكاردينال رفيجو عام ١٨٣٢م من الاعتداء على مسجد كتشاوة الذي يرجع تأسيسه إلى حاكم الجزائر حسن باشا عام ١٧٩٥م، وقامت القوات الفرنسية باقتحامه في حين كان بداخله أربعة الآلاف مسلم وأعملوا فيهم القتل وهم يؤدون الصلاة (٣٢)، ثم قامت السلطات الفرنسية بتشويه الجامع وتحويره إلى كتدرائية نصرانية أطلق عليها اسم القديس فيليب (cathedrale saint phillipe) وأقيمت فيه لأول مرة صلاة للنصارى في ليلة عيد الميلاد في ٢٤كانون أول ١٨٣٢م برئاسة الراهب كولان (kolan)، وفي ذلك إهانة لمشاعر المسلمين الجزائريين التي لم تؤخذ بالاعتبار(٣٣)، فانتفضوا بهيجان كبير ضد هذه الانتهاكات السافرة وقد مارست السلطات الفرنسية ضد المنتفضين الجزائريين القوة والشدة لإنهاء انتفاضتهم (٣٤). ولم تعلن توقفها عن انتهاكاتها التي أثارت المسلمين في الجزائر بل استمرت في عبثها بأهم مساجد العاصمة ومنها مسجد السيدة الذي تسبب في تهديمه اليهود بعد أن وشوا إلى الجنرال كلو زيل (clausal) بان المسجد يحتوي على خزينة أموال داي الجزائر المستسلم، وعندما فتشته قوات الاحتلال ولم تجد فيه الأموال أمر كلو زيل بتهديمه بعد أن نهبت أثاره (٣٥)، وأقيم على أنقاضه فندق "دي لاريجانس Laregns"كما حول مسجد علي بتشين المؤسس عام ١٦٢٢م إلى كنيسة (سيدة الانتصار) أما في وهران فقد حول مسجد سيدي محمد الهواري إلى مخزن عام للعسكريين وفي قسنطينة حولت السلطات الفرنسية مسجد صالح باي إلى كنيسة (٣٦) كاثوليكية تحت أسم نوتردام دو لا فيكتوريا (Notre dame dala victoire)(٣٧) وفي تلمسان حول مسجد سيدي أبي الحسن المؤسس عام ١٢٧٩م إلى متحف، وفي معسكر حول مسجد العين البيضاء المؤسس عام ١٧٩٣م والذي تمت فيه مبايعة الأمير عبد القادر الجزائري وهو مشهور باسم "جامع المبايعة" حول إلى مخزن حبوب للجند(٣٨) وكان يرافق تحويل المساجد إلى كنائس الخطابات الاستفزازية ومنها خطاب سكرتير حاكم قسنطينه في أثناء احتفالهم بتحويل مسجد صالح باي إلى كنيسة "بأن الإسلام قد دنت أيامه وخلال عشرين عام لن يكون في الجزائر غير أله النصارى رغماً على العرب الذين لا يقبلون أن يكونوا مواطنين فرنسيين إلا بعد أن يتركوا إسلامهم "(٣٩).

السلطات الفرنسية عملية محو الدين الإسلامي في الجزائر ومما يؤكد ذلك خطاب الوزير الفرنسي صالفندي (Salvandy) الذي ألقاه أمام الأطباء العسكريين في الجزائر عام ١٨٦٤م : "مما لاشك أن الحكومة الفرنسية تعترف لكم بجميل إخلاصكم في معاملتكم للجنود غير أن لكم مهمة أخرى أكثر أهمية أنتم مدعون إلى القيام بها وهي مؤازرتكم بقسط كبير في العمل على إدخال حضارتنا في بيئة القبائل العربية البربرية، أن تبشيركم سيكون ولاشك القادر على النجاح ..."(٤٠). يتضح من ذلك تأكيد رضا الحكومة الفرنسية ودعمها للإرساليات التنصيرية للعمل بكل طاقتها في تهيئة المناخ المناسب للنصرانية في الجزائر .

ولاستكمال موقف السلطات الفرنسية المعادي للإسلام اتجهت إلى الأوقاف المورد الأساسي للعناية والصرف على المساجد، فقامت بمصادرتها من طريقها قانون أصدرته في ٧كانون أول ١٨٣٠م لقطع الروافد الاقتصادية التي من خلالها يحافظ على المساجد والأضرحة(٤١)، والزوايا(٤٢)، وبذلك أمسكت السلطات الفرنسية برقاب الأئمة والقضاة من الموظفين الدينيين الذين يتقاضون رواتبهم من عائدات الأوقاف وأصبح من الطبيعي عدم تعيين أمام أو قاض إذا لم يكن جاسوساً لخدمة المصالح الفرنسية في الجزائر ويبدي الحماس والإخلاص للسلطات الفرنسية وبذلك يتم تطبيق مقولة مدير مكتب الشؤون الإسلامية المستوطن الفرنسي : بأنهم بهذا العمل قد أذلوا الدين الإسلامي (٤٣)، وذلك لتسلطهم على المسئولين من الأئمة والخطباء الذين يمثلون رأس الدين في المساجد .

استمرت السلطات الفرنسية بتدخلها السافر في الأمور الدينية في الجزائر عندما شكلت لجنة الأهلة لمعاينة شهر رمضان وإثباته وإنهائه وهذه اللجنة تتكون من موظفين دينيين فصارت السلطات الفرنسية هي المتحكمة في الإعلان عن شهر رمضان كما أنها هي التي تعلن عن انتهائه فكانت تعلن عن انتهاء شهر رمضان والهلال في كبد السماء، وحتى فريضة الحج .

تدخلت فيها إذ أصدرت عام ١٨٣٨م إقراراً بمنع الحج ورفضت السلطات إعطاء الرخص للحجيج ثم أكدت ذلك بقرار عام ١٨٥٦م ، ثم أصدرت مرسوماً عام ١٨٥٨م منحت فيه الرخص للحجاج بعد تحريات دقيقة عن سلوك الحاج وأملاكه وأخلاقه لضمان رجوعه إلى موطنه الجزائر، وظلت السلطات الفرنسية مسيطرة على الأمور الدينية في الجزائر منذ الاحتلال والى غاية الاستقلال (٤٤).

ثانياً: إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية (سياسة الفرنسة)

ركزت السلطات الفرنسية على قطاع التعليم بعد قضائها على المقاومة الوطنية الجزائرية عام ١٨٤٧م فبدأت بالتخطيط لطمس المعالم العربية الإسلامية وخلق عقلية جزائرية فرنسية تنسجم مع أهدافها ومخططاتها ولتسهيل عملية تنفيذ مصالحها في المستقبل اتجهت إلى تطبيق سياسة خاصة بانتزاع الأطفال والناشئة من قوميتهم العربية لقطع الصلة بينهم وبين ماضيهم وتاريخهم حتى تتمكن من تنفيذ مخططها بإدماج الجزائريين بالعنصر الفرنسي، ومن هنا تتجلى الخطط التي باشرت فيها السلطات الفرنسية وهي تكوين أفراد ومجموعات تكون قادرة على تسهيل مهمة الفرنسيين في إدارة البلاد (٤٥) بعيدة الجزائريين من حيث تكوينها وثقافتها الغربية مهمتها تسير المصالح الفرنسية الاستعمارية في الجزائر (٤٦)، وقد عملت الإرساليات التنصيرية على احتكار العلم والتعليم فقامت بفتح المدارس بدءاً من رياض الأطفال وانتهاءً بالدراسات العليا ووضعت مناهج تحقق غايتهم لأن التعليم هو السلم الحقيقي لتحقيق أهدافهم الاستعمارية (٤٧)، وتعميق الروح العنصرية للثقافة الفرنسية وإبراز التراث والتاريخ الفرنسي والحط من قيمة الحضارة الإسلامية والعربية، والتقليل من شأن اللغة العربية (لغة القرآن الكريم)(٤٨).

أما بالنسبة لمستوى الحياة الثقافية في الجزائر فقد تميزت بالطابع الإسلامي فكان الرابط المحكم بين سكان الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي لها عام ١٨٣٠م، إذ شهدت تعليماً واسعاً وتنظيماً ثقافياً وقضائياً وعلاقات اجتماعية وفكرية (٤٩)، شهد لها العديد من الفرنسيين مدة الاحتلال بأن الأمية كانت منعدمة في الجزائر تقريباً وأن الجزائريين قد يكونون أكثر ثقافة من سكان فرنسا فكان أغلب الجزائريين يعرفون القراءة والكتابة (٥٠)، إذ كانت الجزائر تعج بالمساجد التعليمية والمدارس والزوايا فكان فيها (٢٣١٣) مدرساً يدرسون القرآن الكريم وعلوم الدين لطلاب الابتدائية البالغ عددهم (٢٦،٥٠٠) طالب (٥١)، أما في قسنطينه فكان فيها(٣٥) مسجداً تستعمل مراكز للتعليم و(٧) مدارس ثانوية عليا منها مدرسة ابن افوناس ومدرسة ابن الفكون، وهناك (٩٠) مدرسة ابتدائية و(١٦) مركزاً مابين زوايا ومعاهد للتعليم (٥٢) وفي تلمسان (٥٠) مدرسة ابتدائية، وبهذا الصدد كتب أحد القادة الفرنسيين تقريراً عن أحوال الجزائر عام ١٨٦٤م جاء فيه:"علينا أن نضع العقبات ما أمكننا ذلك في طريق المدارس التقليدية هنا، وهكذا ننزع السلاح المعنوي والمادي للأهالي في الجزائر"(٥٣)، عند ذلك أيقن الجزائريون أن هدف الاحتلال الفرنسي هو القضاء على الهوية العربية والإسلامية ومن الواجب عليهم أن يعتصموا بدينهم وثقافتهم من أجل التحرر والتخلص من هذا الاحتلال الذي يحمل في طياته معنى الحروب الصليبية (٥٤).

دفعت السلطات الفرنسية مستوطنيها ومسئوليها في الجزائر إفساد العقل الجزائري وإبقائه متخلف وأول تركيزها كان على اللغة العربية، مستهدفة إياها بجعلها لغة ثانوية بسيادة اللغة الفرنسية عليها ومنع الجزائريين لا سيما الأطفال من تعلم العربية محاولة إقناعهم بأن اللغة الفرنسية هي لغتهم القومية (٥٥) . وذلك لتيقنهم بأن اللغة تحيى بحياة الناطقين بها وديمومتهم في صراعهم من أجل البقاء وتهرم وتنتهي في حال ضعف أهلها وانكسارهم وظهور غيرهم عليهم وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في مقدمته : "إن غلبة اللغة بغلبة أهلها وأن منزلتها بين اللغات صورة لمنزلة دولتها بين الأمم (٥٦)، لذا عملت فرنسا على تنحية اللغة العربية إلى المرتبة الثانية بالرغم من كونها لغة العرب الرسمية، وحصرت السلطات الفرنسية على جميع المدارس التدريس باللغة الفرنسية وهذا مبدأ اتخذته في الجزائر فضلاً عن الاهتمام الذي أبدته البابوية بالتعليم وجعلته أساساً في نشر النصرانية باعتباره من أقوى وسائل المبشرين (المنصيرين) بالنصرانية، إذ رأى المنصرون أن ثماره تأتي سريعاً في جموع من الأطفال المسلمين لأجل ذلك دعوا إلى رعاية المدارس النصرانية وبنائها في البلاد الإسلامية والبلاد التي يستعمرونها (٥٦)، وفي سعيهم الهادف إلى جعل اللغة الفرنسية بديلاً أساسياً عن اللغة العربية كتب أحد المستعمرون الفرنسيون في أحد التقارير التي وضعت عام ١٨٤٨م : "أن الجزائر لن تصبح فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا الفرنسية لغة قومية فيها...والعمل والسعي وراء جعل الفرنسية اللغة الدارجة بين الأهالي إلى أن تقوم مقام العربية، وهذا هو السبيل لاستمالتهم إلينا، وتمثلهم بنا واندماجهم، وجعلهم فرنسيين "(٥٨) .وبهذا تتضح أهداف الإرساليات التنصيرية من أقامة المستشفيات وتوفير الخدمات الإنسانية والاهتمام بالعلم والأشراف على المدارس ما هي إلا واسطة لتمرين قس الكنيسة والمدرسين الذين يحملون أراء نصرانية كلها سخرت لإقناع الجزائريين بترك دينهم والاتجاه إلى النصرانية ولا تهدف هذه المدارس تخرج أطباء أو فلكيين أو علماء وإن خرجت هكذا نخبة فأنها تعتبر خارجة عن الخط النصراني (٥٩).

بلغت المدارس الفرنسية أوج ازدهارها في الجزائر في الحكم العسكري للبلاد إذ وصل عدده إلى (٣٨) مدرسة تضم (١٣) ألف طفل جزائري وقد بين الدوق دو مال (Doc Do male)* الغرض من هذه المدارس بأنها توفر الأمن والتغلغل إلى العمق الجزائري لأنها تصنع من أطفال الجزائر رجالاً أوفياء لفرنسا بتربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم بالثقافة الفرنسية الغربية، وهم بذلك أفضل من إعداد كتيبة عسكرية تزج إلى العمق الجزائري لتوفر الأمان للمستوطنين الأوربيين وتفتح طريقاً للاحتلال محفوفاً بالخطر والخسارة إذا ما واجهته المقاومة الوطنية الجزائرية(٦٠). ومن أجل منع ممارسة التعاليم الإسلامية أقفلت السلطات الفرنسية العديد من المدارس والكتاتيب التي تعلم القرآن الكريم وضيقت على اللغة العربية وخنقتها تماماً (٦١)، كما راقبت الاحتفالات الدينية ورحلات الحج وضبطها وأصبح مجمل النظام التربوي مصمماً على طمس الهوية العربية الإسلامية وتحكمت السلطات الفرنسية بالدين تحكماً رسمياً فضلاً عن أنها أوجدت رجال دين مسلمين خاضعين لها فدربتهم في مدارس وكليات لتستخدمهم بالتحكم في تعاليم الدين الإسلامي في المساجد(٦٢) وتحقيقاً لهدف السلطات الفرنسية بمحاربة اللغة العربية وطمسها من خلال القضاء على مراكز الثقافة العربية التقليدية القائمة في البلاد(٦٣). فقد عملت فرنسا جاهدة مستخدمة كل أساليب الترهيب كي ينسى الجزائري لغته وكي تفرنس سكان الجزائر(٦٤)، ويجعلوا الجزائريين مذبذبين لا إلى العربية ولا إلى الفرنسية(٦٥) وذلك بإنشاء المدارس الفرنسية المحضة باللغة الفرنسية ومنع إدخال اللغة العربية في تعليم المناهج (٦٦)، وجعل المدارس كلها بالفرنسية بحيث لو تسنى للمواطن الجزائري أن يدخل هذه المدارس لما خرج منها إلا فرنسياً (٦٧) . وذلك لأن اللغة هي عامل التماسك بين المجتمع وتربط أبناء الأمة الواحدة وفيها تنعكس حضارة الأمم وهي هوية الأمة، فضلاً عن أنها عماد الثقافة وأبرز مقومات شخصية الفرد والإطار الذي يحفظ كيان أفراد الأمة ويحدد هويتهم وفيها يتجلى إبداع الأمم(٦٨).

أثرت سياسة السلطات الفرنسية الساعية بالقضاء على المدارس والكتاتيب القرآنية والمعاهد في الجزائر على الجزائريين بشكل كبير فقد وصفهم إيميرت (M.Emerit) : بأن العربي الجزائري كان قبل عام ١٨٣٠م يعرف القراءة والكتابة ومثقفاً بالثقافة الإسلامية غير أنه بمرور الزمن وخلال مدة الاحتلال الفرنسي أصبح يتخبط في ظلمات الجهل نتيجة الضغط والمحاربة الفرنسية للتعليم الإسلامي واللغة العربية في الجزائر(٦٩) وعلق المؤرخ الفرنسي (بولار Bolar): "أن وصول الفرنسيين إلى الجزائر أحدث بلبلة عميقة في عالم المفكرين والأدباء، لقد ترك أغلب العلماء كراسي تدريسهم وتفرق التلامذة وعوضاً عن الدروس العامة التي تؤخذ في الاجتماعات أخذ أولئك يبحثون عن فك معميات العلوم في دروس منعزلة وبمدارس من الدرجة الثانية أو في الزوايا البعيدة وقد وضعت أدارة المساجد والمدارس في يد طماعين يحولون مصارف الأوقاف لجيوبهم ومنذ ذلك الوقت أهملت كل المدارس تقريباً"(٧٠).

تعرضت الجزائر إلى أنواع الأزمات والكوارث الطبيعية والنكبات منذ أن وقعت بيد قوات الاحتلال الفرنسي لا سيما في الستينات من القرن التاسع عشر (١٨٦٥-١٨٧٠) فضلاً عن السياسة القمعية التي طبقتها السلطات الفرنسية في الجزائر ومنها الغرامات الحربية والضرائب الفادحة ، وقد رافق هذه السياسة شحة في نزول الأمطار منذ شتاء عام ١٨٦٥م مما تسبب في زيادة القحط الذي استمر مدة ثلاث أعوام لا سيما عام ١٨٦٧م الذي قلت فيه حتى مياه الشرب وجفت الينابيع (٧١). وارتفعت الأسعار وانخفضت الثروات الفلاحية وقضي على الحيوانات وقلت فرص تربيتها مما أدى إلى هجرة العوائل من مناطقها إلى المناطق المعتدلة، واضطرت بعض العوائل من شدة العوز إلى الاقتراض فضعفت لذلك حالة السكان الجزائريين بينما كان المستوطنون الأوربيون (المعمرون) يعيشون في مناطق متميزة بأراضيها الخصبة وتوفر مياهها(٧٢).الأمر الذي أجبر الجياع من السكان إلى ارتكاب جرائم القتل والسرقة حتى يلقى القبض عليهم ليضمنوا لقمة العيش داخل السجن (٧٣).

تأثرت الجزائر بمجاعة الستينات من القرن التاسع عشر لا سيما عام ١٨٦٧-١٨٦٨م ونظراً لشدة هذا العام اتخذه أهل الجزائر تاريخاً يؤرخوا به (عام الشدة) وفي هذه المحنة ومعاناة أهل الجزائر من القحط، حدثت زلازل في مناطق البليدة وقرى متيجة عام ١٨٦٧م وقد صاحب هذه المحن خطر موجة الجراد الذي أتلف المحاصيل في عامي ١٨٦٩-١٨٧٠م مما أفقد الناس إنتاجهم وتعرضوا لضائقة مادية(٧٤) . فضلاً عن انتشار الأمراض والأوبئة منها (الكوليرا والتيفوس) إذ نتج عنها موت مئات الآلاف من الجزائريين، لذا زحف سكان الجنوب نحو مدن الشمال التي يستوطنها الأوربيون (٧٥) بحثاً عن مصدر للعيش فتلقى الجزائريون أقسى المعاملة إذ منعوا حتى من التفتيش في أكوام القمامة على بقايا الأطعمة خشية انتقال الأمراض إليهم فتصايحت أصواتهم واستعانوا بقوات الاحتلال لأبعادهم، وتم إبعاد حوالي (٥٤٠) ألف جزائري إلى مناطق الصحراء منها (مليانه والأصنام) فبلغهم الجوع والعطش إلى نبش قبور الموتى لأكل لحومهم (٧٦). وقد وصف حالهم لافيجيري بأنهم أصبحوا مثل الحيوانات منذ أشهر فقدوا ما يقتاتون به ولم يبق لهم الأعشاب وأوراق الأشجار يرعون فيها مع شدة فصل الخريف ضعفت أجسامهم من الجوع وبان عليهم الفقر في لباسهم وباتوا يتسكعون على الطرقات وحول المدن التي أخرجوا منها لفوضتهم فيها ، فهم ينتظرون جمع النفايات للصراع عليها ويحفرون الأرض لأكل الموتى (٧٧). يبدو من وصف لافيجيري هذا شدة القسوة والعداء للإسلام والاضطهاد الذي تعاملوا به مع سكان الجزائر المسلمين اتضحت منه خطورة الاحتلال الفرنسي للبلاد الإسلامية فهو لا يستنزف الموارد والخيرات والتوسع وإنما يستهدف الروح القومية والإسلامية لأهل الجزائر . ففي هذه الأثناء يأتي دور الإرساليات التنصيرية لتقوم بتجريد الشعب الجزائري مما تبقى له من شخصيته بعد أن أدرك الفرنسيون عدم إمكانية السيطرة عليهم بقوة السلاح،

فانطلق لافيجري أسقف الجزائر بجولة في الجزائر الصليب في يمينه والخبز في شماله مبشراً بالديانة النصرانية (٧٨). وبذلك أصبحت المجاعة عنصراً حيوياً استثمره لافيجري في إحياء حركة التنصير، إذ قام بجمع اليتامى الجزائريين الذين تتراوح أعمارهم ما بين (٨-١٠) الثامنة والعاشرة (٧٩) حتى بلغ عددهم مليون وسبعة مائه وثلاث وخمسين ألف طفلاً وزعهم على مراكز عدة بعد أن حصل على موافقة السلطة العسكرية والمساعدات الخيرية التي قدمها المعمرون الأوربيون وبعض المؤسسات بإنشاء ملاجئ ودور لحماية اليتامى الهدف "تعميدهم "وتربيتهم تربية نصرانية كما عملوا على تهيئة مخيمات وقرى لهم إلى أن يكبروا وبين لافيجري غرضه من ذلك في رسالة مؤرخة في السادس من نيسان ١٨٦٨م :"سنجد فيها(هذه القرى)بعد سنوات قليلة مجموعة كبيرة من العمال المفيدين الذين يساندون تعميرنا ويصيرون أصدقاء لنا أو بعبارة أخرى سنجد عرباً مسيحين"(٨٠). أسس لافيجري لهذا الغرض جماعة "الآباء البيض" وجعل لهم بلدة الحراش القريبة من العاصمة مركزاً لها، وعدت هذه الجماعة من أنشط وأخطر الإرساليات التنصيرية في الجزائر إذ أوكل إليها الاعتناء بدور الأيتام الجزائريين في نواحي عكنون وبوزيعه الواقعة على أطراف العاصمة (٨١). وقام لافيجري بتشييد قريتين نصرانية لتنصير مسلمي الجزائر الأولى تحت اسم سان سبيريان (san spire) أسقف قرطاجة -تونس عام ١٨٧٢م على بقايا كنيسة قديمة ووضع فيها (٢٦) أسرة بعد أن قام بتزويج اليتامى البالغين سن الرشد ، ومنح كل أسرة (٢٠) هكتار صالح للزراعة ومنزل يتكون من غرفتين أو ثلاثة، وبنيت هذه القرية حول الكنيسة على أن يعمل اليتامى فيها كفلاحين لا يتملكون الأرض إنما يعملون تحت سيطرة المنصرين من الآباء البيض، أما القرية الثانية فسماها سانت مونيك (Monique sant) أم القديس أوغسطين، ووضع فيها (٢٤) أسرة وأنشأ عام١٨٧٦مستشفى سانت إيلزابيث (san Elisabeth) مابين القريتين، وكانت الصلاة النصرانية تقام في القريتين برعاية الآباء البيض (٨٢) .

أثار إنشاء لافيجري القرى العربية النصرانية وجمع الأطفال وتنشئتهم نشأة نصرانية خوف حاكم الجزائر ماك مكماهون (Mac Magmhon)* من ثورة الأهالي وبالفعل ثار الأهالي مطالبين باسترداد هؤلاء الأطفال، وواجه لافيجري استياء الأهالي بإصراره على عدم أعادة الأطفال إلى ذويهم وأعرب بأن القضاء عليهم ألف مرة خير من بقائهم عند أبائهم (٨٣). غير أن سياسته هذه لاقت معارضة شديدة حتى من المستوطنين الأوربيين مما أدى إلى فشلها شيئاً فشيء فقد رأى المستوطنون وجوب انتشار الإرساليات النصرانية في جميع أنحاء الجزائر وعدم حصر نشاطها في هاتين القريتين، في حين اشتدت معارضة الجزائريين نتيجة الأوضاع الاقتصادية والاضطهاد، فضلا عن الاستياء من رسالة لافيجري المؤرخة في ٦نيسان ١٨٦٨م والتي أراد فيها لافيجري استبدال الإنجيل بالقرآن الكريم فتضافرت هذه العوامل في ثورة الجزائريين في قسنطينة مفضلين موت أولادهم على أن يصبحوا نصارى ونتيجة السخط الشعبي وبعض الأوساط الفرنسية تخلى لافيجري عن القرى النصرانية وسمح بدمج اليتامى في الأوساط العامة في الجزائر (٨٤).

لعب لافيجري دوراً كبيراً في إحياء النصرانية وتكريس الوجود الاستعماري الفرنسي مستغلاً كل ما لديه من الوسائل لتحقيق أغراضه وأهدافه المرسومة (٨٥) غير أنه فشل لشدة تمسك الجزائريين بدينهم وعروبتهم لذا أبدى لافيجري أسفه الشديد من عدم تمكنه من نشر النصرانية في الجزائر متعجبا لأمر الأطفال كلما قال وصلت إلى تعميدهم يراهم يرجعون إلى أسلامهم وعبر عن ذلك بقوله إنه أراد أن يحبب فرنسا إلى الناس باسم المسيح غير أنه فشل(٨٦).

سياسة فرنسا القمعية:

انتهجت السلطات الفرنسية ضمن سياستها الاستعمارية في فرنسة الجزائر وسائل متعددة إلى جانب الاستيطان وحكم سيطرتها على إدارة البلاد فضلاً عن عمليات النهب والاستحواذ على الممتلكات وحالات التهديم والإبادة إلى إصدار قوانين جديدة تقضي بتجنيس* شباب الجزائر وإبعادهم عن بيئتهم الإسلامية كوسيلة من وسائل تحقيق خطتها بإصدار قوانين الأحوال الشخصية لسلخ الجزائريين عن انتمائهم العربي ودمجهم في الحياة الفرنسية وحتى لإخراجهم من

رعايا فرنسيين إلى مواطنين فرنسيين ،حسب قرار "السينايتس كونسيلت "(senatus consulte)* (٨٧) الذي أصدره نابليون الثالث عام ١٨٦٥م والذي واجه رفضاً شعبياً تاماً لأن التجنيس يعني التخلي عن الدين الإسلامي (٨٨)، وأصدر الوزير الفرنسي كريميو أدولف(cremeux adolphe)* قانوناً لليهود سمي بقانون كريميو عام ١٨٧٠م الذي أعطى اليهود حق المواطنة الفرنسية مع احتفاظهم بأحوالهم الشخصية اليهودية(٨٩)، ويقضي هذا القانون بمنح الجنسية الفرنسية إلى حوالي (٣٨) ألف يهودي وتنظيم الإدارة الاستعمارية في الجزائر، وقد وسع هذا القانون من نشاط اليهود ودخلوا الحياة السياسية والإدارية باعتبارهم مواطنين من الدرجة الأولى قادرين على حماية مصالحهم (٩٠) . وجاء هذا القانون بموافقة من السلطات الفرنسية للاعتماد على اليهود في الإدارة والتجارة في الجزائر(٩١).

ثار عرب الجزائر على صدور قانون كريميو باعتبار اليهود مواطنين من الدرجة الأولى بل حتى يفضلوا المسلمين سكان البلاد الأصليين، وقد عبر عن الاستياء الجزائري حاكم الجزائر العام في تقرير رفعه إلى وزير الداخلية الفرنسي عام ١٨٧١م :"لقد جرح العرب في أعماق قلوبهم وفي وطنيتهم النظيفة بسبب تجنيس اليهود الجماعي الذي سمح لليهود باحتلال مناصب عالية أدارية وقضائية" وعلى الرغم من ردود الأفعال المعارضة والمؤيدة لقانون "كريميو" غير أنه أخذ حيز التنفيذ مما ترك أثراً عميقاً في نفوس المسلمين الجزائريين أدى بهم إلى النهوض بثورة حملوا فيها السلاح للدفاع عن مقدساتهم (٩٢) .

الاستنتاجات:

تناول هذا البحث دور الإرساليات التنصيرية في الجزائر بين عامي (١٨٣٠-١٨٧٦م)، وتعد هذه المدة مهمة جداً في التاريخ الجزائري الحديث لأنها توضح مدى عداء الدول الأوربية النصرانية الشديد لا سيما فرنسا الكاثوليكية للعرب المسلمين لا سيما في الجزائر، فهي بداية عمل البعثات والإرساليات النصرانية لتنصير المسلمين في شمال أفريقيا متزامنة مع القسوة والبطش الذي استعمله جنرالات القوات الفرنسية الغازية في الجزائر، وقد أسهمت الحكومة الفرنسية في إمداد هذه الإرساليات ودعمها بكل السبل لإنجاح مهامها في الجزائر على الرغم من رؤوس هذه البعثات كانوا محاربين لدى الحكومة الفرنسية في باريس لاسيما البعثات اليسوعية، غير أن الحكومة الفرنسية في البلاد الإسلامية ومنها الجزائر غيرت سياستها تجاه البعثات التنصيرية بل وجهت إليها كل الدعم والإسناد والهدف هو إنشاء تربة خصبة لتوطيد النفوذ والتواجد الفرنسي في هذه البلاد ولتسهيل عمل القوات الغازية في تحقيق أهدافها، عملت فرنسا من خلال هذه الإرساليات جاهدة على طمس الهوية العربية والإسلامية للجزائريين وتحويلهم إلى نصارى كاثوليك ومواطنين فرنسيين ، ويمكن الإشارة إلى أبرز الاستنتاجات على النحو الأتي :

١- هدفت الدول الأوربية والبابوية بعد فشل الحروب الصليبية إلى غزو البلاد الإسلامية مرة ثانية غزواً فكرياً من طريق الإرساليات والبعثات التنصيرية التي انتشرت في كل البلاد العربية لا سيما البلاد التي تحتوي على نسيج من الطوائف والقوميات لأنها أرض خصبة لبث التفرقة بين أبنائها ومن ثم تعمل الإرساليات على نشر الكثلكة بينهم .

٢- يعد الاستعمار والاحتلال الفرنسي أشد وأخطر أنواع الاستعمار فهو يهدف إلى الاستيطان ودمج أهل البلاد إلى فرنسا والأخطر استخدام سياسة الفرنسة التي تلغي لغة البلاد الرسمية وتجعلها في المرتبة الثانية وتقدم لغة المحتل إلى المرتبة الأولى .

٣- حاربت السلطات الفرنسية اللغة العربية في شمال أفريقيا لا سيما الجزائر لان اللغة هي الصلة والتواصل بين أبناء الشعب فبهم تحيى ويحيون مدافعين عن شخصيتهم وقوميتهم بها ، فأرادت السلطات الفرنسية إذابة اللغة العربية لتتمكن من محو القومية العربية وسلخها من الشعب الجزائري بأن يكونوا رجالاً أوفياء إلى الحكومة الفرنسية.

٤- شدة العداء النصراني للإسلام تجسد في تهديم المساجد في أنحاء الجزائر وتحويل القسم الأخر منها إلى كنائس أو مخازن أو مستشفيات ، وذلك لمنع توافد المصلين إليها وقطع علاقتهم مع الفقهاء والعلماء الذين يعملون على التوعية الدينية من خلال حلقاتهم الدراسية في المساجد .٤٠

٥- فشل النصراني لافيجري في طمس الهوية الإسلامية في الجزائر رغم استخدامه أنواع الحيل الذكية مستغلاً الأوضاع الاقتصادية الصعبة والمحن التي أصابت الجزائر لجرهم وإجبارهم على ترك الدين الإسلامي، غير أن مساعيه فشلت إذ واجه مقاومة عام ١٨٧٠م أرجعته وأوقفته عن مشاريعه الواسعة ومخططاته الخطيرة لتنصير الجزائريين، معلناً فشله أمام صمود هذا الشعب الذي احتار في كيفية تحويله من دينه الإسلامي إلى النصرانية على المذهب الكاثوليكي . ويستمر الصراع ومحاولة السلطات الفرنسية بدون كلل على دمج وتنصير الجزائر قدر الإمكان ويبقى الصمود الجزائري بوجه هذا العداء على مدى مائه وثلاثين عاما حتى تحقيق الاستقلال في عام ١٩٦٢م.

الهوامش والمصادر

١-دلندة وعبد الحميد الأرقش، وجمال طاهر، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي، ميديا كوم، (تونس :٢٠٠٣)، ص٣٥٥.

٢-عبد الرحمن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج٣، طبعة جديدة ، دار الثقافة (بيروت :١٩٨٠)، ص ٤١٢.

*- فانسون- ايف بوتان (Vincent- yues Boutin)(١٧٧٢- ١٨١٥)، كلونيل فرنسي متميز، قام بمهام تجسسية في بابليك الجزائر في عام ١٨٠٨، كان والده حداد وله أربعة أخوة، تنتمي عائلته إلى إحدى الطبقات الصغرى في فرنسا، تربى تربية دينية، حصل على شهادة معلم في الفنون ١٧٩١، أكمل دراسته في المدرسة العسكرية للهندسة، كان صديق الجاسوسة البريطانية ستانهوب، قتل في سوريا ١٨١٥ وأخفيت جثته، فانتقمت ستانهوب له بحملة تأديبية على قاتليه. ينظر الموسوعة الحرة www.marfa.org

٣-صلاح العقاد، المغرب العربي الجزائر، تونس، المغرب الأقصى، ط٣، مكتب الإنجلو المصرية، (القاهرة : ١٩٦٩) ص ٤٩.

٤- صالح عوض، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر، الزيتونة للأعلام والنشر، (الجزائر:١٩٨٩)، ص٦٥؛ مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث،ج٣، مكتبة النهضة الجزائرية، (الجزائر:١٩٦٤)، ص٣٢٠.

٥- كاردينال فرنسي(١٨٢٥-١٨٩٢م)، نصراني متعصب حكم الجزائر(١٨٣١-١٨٣٣م)، مدير سابق لمدارس الشرق، مطران الجزائر عام ١٨٦٧م، مندوب بابوي إلى الصحراء والسودان، كلفه البابا بيوس التاسع (١٨٤٦-١٨٧٨) لنشر النصرانية، أسس جماعة "الآباء البيض" عام ١٨٦٨م.جاك فريمور، فرنسا والإسلام، ترجمة:هاشم صالح،ط١، دار قرطبة للنشر،(قبرص :١٩٩١)، ص٧٨.

٦- عبد الجليل التميمي ، "دور المبشرين في نشر المسيحية بتونس ١٨٣٠-١٨٨١"، بحث منشور في المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر، ع٣، (تونس :١٩٧٥)، ص٥.

*- عقيد في هيئة الأركان الفرنسية ، ينحدر من عائلة من بيكاردي ،ملم باللغة العربية، له اتصالات واسعة مع القناصل والشخصيات الرسمية والرجال الأمريكان، كلف من وزارة الحربية بتحضير حملة إلى الجزائر، لما له من إلمام بالدراسة الميدانية ، اشرف على الخطط الميدانية لاحتلال الجزائر عام ١٨٣٠.ينظر www.atartv.net

٧- خلف بن دبلان بن خضر الوذيناني، الدولة العثمانية والغزو الفكري حتى عام ١٣٢٧هـ -١٩٠٩م ، معهد البحوث العلمية وأحياء التراث الإسلامي، ط٢، (مكة المكرمة:٢٠٠٣)، ص١٨١.

٨- مصطفى خالدي، عمر فروخ، التبشير الاستعماري في البلاد العربية عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي، شركة علاء الدين للطباعة، ط٤، (بيروت:١٩٧٠)، ص٣٧.

٩- مستشرق ومبشر ومتصوف بارز، ولد في جزيرة ميورقة١٢٣٥م بدأ حياته شاعراً وقاصاً ورحالة، تراءى له طيف السيد المسيح ثلاث مرات في يوم واحد فدعاه لنفسه فدخل النصرانية وخدمها (٥٠)عام، زار جامعات باريس وبلاطات الملوك في فرنسا وصقلية و جنوه والبندقية، يعد أبا للتبشير وواضع مناهجه ومؤسس مدارسه،تعلم العربية وقرأ القران، عمل بشدة على تنصير المسلمين، توفي عام ١٣١٥م .

١٠- ألوذيناني، المصدر ألسابق، ص,١٨٠

١١- ليلى الصباغ، الجاليات الأوربية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنيين السادس عشر والسابع عشر،العاشر والحادي عشر الهجريين ، ط١،ج٢، مؤسسة الرسالة ،(بيروت :١٩٨٩)، ص,٧٧١

١٢- الوذيناني، المصدر ألسابق، ص١٨٠؛ الصباغ ، المصدر السابق،ص,٧٧١

١٣- مصطفى و فروخ ، المصدر السابق، ص,٧٧

١٤- المصدر نفسه ،ص,٧٧

١٥- مصطلح حديث يعني مجموعة الجهود التي تقوم بها أمة من الأمم للاستيلاء على أمة أخرى والتأثير فيها حتى تتجه وجهه معينه وهو أخطر من الغزو العسكري، لأنه ينجه إلى السرية وسلوك المسارب الخفية في بادئ الأمر فلا تحس به الأمة المحتلة ولا تستعد لصده حتى تقع فريسة له ، والنتيجة تصبح الأمة مريضة الفكر والإحساس تحب ما يريده لها عدوها أن تحبه وتكره منها ما يكرهه وهو داء عضال يفتك الأمم . محمد كاظم حسين الفتلاوي، الغزو الفكري الغربي، دراسة في التأثير والتأثر، كلية التربية ، (جامعة الكوفة:٢٠١٣)، ص٢.

١٦- موفق بني المرجة ،صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية ، مؤسسة صقر الخليج للنشر ، (الكويت :١٩٨٤)، ص,١٦٥

١٧- عوض ، المصدر السابق ، ص,٦٥

١٨- التميمي ،المصدر السابق ،ص٦.

١٩- رائد السوداني، الاستشراف والتبشير تأملات في دورهما السياسي ، ط١، مكتب الدراسات التخصصية في فكر السيد محمد الصدر، (نجف :٢٠٠٩) ،ص١٣.

٢٠- كمال خليل، المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر ، التأسيس والتطور ١٨٥٠-١٩٥١،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، فسنطينه، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ ،(الجزائر:٢٠٠٧-٢٠٠٨)،ص٢٣؛ السوداني، المصدر السابق،ص,٥١

٢١- أندري برينان و آخرون ، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة : اسطنبولي رابح منصف عاشور،ديوان المطبوعات الجامعية ،(الجزائر:١٩٨٤)، ص٢٣١؛ الأرقش، المصدر السابق، ص,٣٦٠

٢٢- فريمور، المصدر ألسابق، ص,٧٨

٢٣- الجيلالي، المصدر السابق، ص,٤٠٧

٢٤- عوض، المصدر السابق، ص,٦٦

٢٥- السوداني، المصدر السابق، ص٣٣.

*- سيلفان شارل فالي (Sylavain charles vallce)(١٨٣٧-١٨٤١)، ولد في عام ١٧٧٣م في بريان لوشاتو، انضم إلى الجيش الفرنسي في شالون عام ١٧٩٢م تخرج منها برتبة ملازم عام ١٧٩٣م ، رقي إلى رتبة نقيب عام ١٧٩٥م، ومقدم عام ١٨٠٤م، ثم عميد عام ١٨٠٧م، وجنرال عام ١٨١١م ، ومفتش عام للمشاة ١٨٢٢-١٨٣٠م، رقي إلى رتبة المارشال عام ١٨٣٧م، ثم عين حاكم عام للجزائر عام ١٨٣٧م، توفي عام ١٨٤٦م.

٢٦- مارشال فرنسي، ولدفي ليموج عام ١٧٨٤م،أسهم في دعم الاحتلال الفرنسي للجزائر، حاكما عسكريا على الجزائر عام ١٨٤٠، انتصر على سلطان المغرب في معركة وادي أيسلي ومنح لقب كونت أيسلي، توفي عام ١٨٤٩م . بسام العسلي، الأمير عبد القادر الجزائري ، ط١، ج٤، دار النفائس، (بيروت :١٩٨٠)، ص,١١٥

٢٧- خليل، المصدر السابق، ص,٤٥

٢٨- الجيلالي، المصدر السابق، ص,٤٠٧

٢٩- التميمي، المصدر السابق، ص,١٤

٣٠- السوداني، المصدر السابق، ص,٥١

٣١- محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر

٣٢- العسلي، المصدر السابق، ص ٨٩؛ عوض، المصدر السابق ، ص,٦٦

٣٣- برينان، المصدر ألسابق، ص,٣٦٠

٣٤- الجيلالي، المصدر السابق ،ص,٥٢٨

٣٥- المصدر نفسه،ص,٥٢٦

٣٦- عوض، المصدر السابق، ص,٢٠٤

٣٧- الجيلالي، المصدر السابق،,٥٣٠

٣٨- عوض، المصدر السابق،,٢٠٥

٣٩- المصدر نفسه، ص,٢٠٦

٤٠- عبد الملك خلف التميمي، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي دراسة تاريخية، مقارنة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (الكويت :١٩٨٣)، ص,٧٨

٤١- عوض، المصدر السابق، ص٢٠٦.

٤٢- الزاوية : مركز ديني في الجزائر، لعبت دوراً هاماً ضد الوجود الفرنسي في أفريقيا من حيث التثقيف الديني والوطني وجمع الذخيرة والأسلحة، فكانت منطلقاً لتوعية الناس دينياً . عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر الحديث دراسة سايسيولوجية، ترجمة : فيصل عباس، مراجعة : خليل أحمد خليل، ط١، دار الحداثة للنشر، (د.ت : د.م) ،ص,٧١

٤٣- عوض، المصدر السابق، ص,٢٠٦

٤٤- خليل، المصدر السابق، ص,٤٤

٤٥- يقول المبشر الأمريكي صموئيل زويمر (Samu zwemer)(١٨٦٧-١٩٥٢) : "إن أهم عمل لإخضاع العرب المسلمين لا يتم عن طريق الجيوش والاحتلال وإنما يتم من طريق الثقافة والدين بإخضاع المسلمين للثقافة الغربية وذلك ينزع منهم أبرز ما في الإسلام من علامات القوة والجهاد والمقاومة والوحدة لذلك فأن علينا أن نضمن مناهج التعليم والثقافة ما يؤدي إلى هذا الاتجاه على أن ينفذ ذلك بدقة ومرونة وعلى آماد طويلة وأن نقيم معاهد ومدارس تجذب

المسلمين إليها، حيث يتعلمون فيها كيف يعجبون بأوربا وأفكارها وعظمائها وبذلك سيتحول ميزان النفسية الإسلامية والعقلية العربية من المقاومة والجهاد والخصومة إلى التقبل والولاء والإعجاب"، الفتلاوي، المصدر السابق، ص٥.

٤٦- خليل، المصدر السابق، ص٣٤.

٤٧- الوذيناني، المصدر السابق، ص,١٩٣

٤٨- فؤاد كاظم المقدادي، الإسلام ومشبهات المستشرقين ،كتاب الثقلين٤، سلسلة كتب دورية تصدر عن مجمع الثقلين العلمي، ط٣، (بغداد :٢٠٠٧)، ص,١٠٦

٤٩- الميلي، المصدر السابق، ص,٣١٧

٥٠- الجيلالي، المصدر السابق، ص,٥٣٧

٥١- بسام العسلي، محمد المقراني وثورة ١٨٧١م الجزائرية، ط٣، ج٥، دار النفائس،(بيروت:١٩٩٠)، ص٧٩ ؛ عوض، المصدر السابق، ص,٢١٢

٥٢-الجيلالي، المصدر ألسابق، ص,٥٣٩

٥٣- التميمي، الاستيطان الأجنبي، ص,٧٨

٥٤- مصطفى و فروخ ، المصدر السابق، ص,١٧٨

٥٥- التميمي، الاستيطان الأجنبي ،ص٧٩.

٥٦- ثائر حسن جاسم ، " اللغة العربية في عصر العولمة "، بحث منشور في كتاب الشرق والغرب من الإستشراق إلى العولمة ، ط١، معهد الأبحاث والتنمية الحضارية ، العارف للمطبوعات، (بيروت:٢٠٠٩)، ص٤٥.

٥٧- الوذيناني، المصدر السابق، ص,٢١٠

٥٨- المقدادي، المصدر السابق ، ص,١٤٣

٥٩- مصطفى و فروخ، المصدر السابق، ص٦٦.

*- هو الابن الخامس للملك لويس فيليب (Louis Philippe)، عاش في الجزائر ما بين (١٨٤٠-١٨٤٨)، له الدور الفعال في مجريات الأحداث ، وصل إلى رتبة جنرال عام ١٨٤٢م، ثم عين قائد مقاطعة قسنطنية شارك في معارك احتلال الجزائر,١٨٤٧

٦٠- خليل،المصدر السابق، ص,٣٦

٦١- التميمي، دور المبشرين ، ص,٧

٦٢- مايكل و يليس،التحدي الإسلامي في الجزائر الجذور التاريخية والسياسية لصعود الحركة الإسلامية أول كتاب موثق عن الأوضاع الجزائرية ، ط٢، شركة المطبوعات للنشر، (بيروت :٢٠٠٩)،ص

٦٣- التميمي، الاستيطان الأجنبي، ص,٧٧

٦٤- السوداني، المصدر السابق ، ص,٦٠

٦٥-أحسان حقي، الجزائر العربية أرض الكفاح، منشورات المكتب التجاري للنش، ط١،(بيروت:١٩٦١)، ص١٣٣-١٣٤.

٦٦- العقاد، المصدر السابق، ص,١٧٠

٦٧- حقي، المصدر السابق،١٣٦.

٦٨- جاسم، المصدر السابق، ص١٨٩-,١٩٢

٦٩- خليل، المصدر السابق، ص,٤١

٧٠- الجيلالي، المصدر السابق، ص,٥٣٤

٧١- العسلي، محمد المقراني، ص١٠١-,١٠٢

٧٢- بريناں، المصدر السابق، ص,٣٤٠

٧٣- العسلي، محمد المقراني، ص,١٠٢

٧٤- المصدر نفسه، ص,١٠٢

٧٥- العقاد، المصدر السابق، ص,١٥٦

٧٦- فريمور، المصدر السابق ، ص٨٩ ؛ عوض ، المصدر ألسابق ، ص١٧٨-,١٧٩

٧٧- بريناں، المصدر السابق، ص,٣٤١

٧٨- عوض، المصدر السابق، ص,١٧٠

٧٩- العقاد، المصدر السابق، ص,١٥٦

٨٠-خليل، المصدر السابق ،٤٧-,٤٨

٨١- عوض، المصدر السابق، ص٢٠٨-٢٠٩ ؛ التميمي، دور المبشرين، ص,١٥

٨٢-خليل، المصدر السابق، ص٤٨-٤٩.

*- مكماهون : دوق ماجنتا، حاكم الجزائر العام ،ولد عام ١٨٠٨، من أسرة كاثوليكية ايرلندية، التحق بالمدرسة العسكرية سان سير عام ١٨٢٥، أصبح كولونيل عام ١٨٤٥، ثم جنرال ١٨٤٨، وحاكم تلمسان ، قاد حملة على ميله عام ١٨٥٧، شارك في الحروب الفرنسية – الروسية عام ١٨٥٥، عاد إلى الجزائر وقاد حملة على القبائل عام ١٨٥٧م.

٨٣- التميمي، دور المبشرين، ص,١٥

٨٤-خليل، المصدر السابق، ص,٥٠

٨٥-التميمي، دور المبشرين، ص,١٧

٨٦- المقدادي، المصدر السابق، ص١١٦.

*- أجاب شيخ الأزهر يوسف ألد جوي عن التجنيس: "أن التجنيس بالجنسية الفرنسية ... معناه الانسلاخ من جميع شرائع الإسلام ومبايعة أعدائه ... أن هؤلاء المتجنسين بالجنسية الفرنسية على أبواب الكفر وقد سلكوا أقرب طريق". صلاح عبد الرزاق، العالم الإسلامي والغرب دراسة في القانون الدولي الإسلامي ، الكتاب السنوي الخامس، ط١، مؤسسة دار الإسلام، (بغداد :٢٠٠٢) ، ص٢٤١.

*- كونسليت : أصدره الإمبراطور نابليون الثالث الذي نص علىا تمليك الجزائريين كل الأراضي التي تقع تحت أيديهم مهما كانت طبيعتها سواء كانت ملكية شخصية أو أراضي عرش، كما نص القانون على ضرورة تحديد أراضي القبائل المختلفة وتوزيع أراضي كل قبيلة على الدواوير المشكلة لها، وأخيرا توزيع أراضي الدوار على عداد سكانه ، وقد سمح هذا القانون لليهود بالتجنس بالجنسية الفرنسية .

٨٧- نص هذا القانون على تمليك الجزائريين الأراضي التي تقع تحت أيديهم مهما كانت طبيعتها سواء كانت شخصية أو أراضي عرش، كما نص القانون على ضرورة تحديد أراضي القبائل المختلفة، وتوزيع أرض كل قبيلة على الدواوير المشكلة لها ، وأخيراً تم توزيع أرض الدوار على عدد سكانه .خليل، المصدر السابق،ص٦١؛ الدوار : يعني بفتح الدال وتشديد الواو ومعناه ما استدار من الرمل أو المنزل ويقصد في الجزائر، المكان الذي تقطنه القبيلة أو فرع منها . حقي، المصدر السابق، ص١٠٧.

٨٨-عوض، المصدر السابق ،ص١٩٣-١٩٤.

*-محام يهودي وسياسي فرنسي، ولد في نيم(Nimes) عام ١٧٩٦م، أصبح نائبا عام ١٨٤٢-١٨٤٦، عمل مستشاراً"يساريا" للملك لويس فيليب ،تأمر ضد لويس فيليب في انقلاب ١٨٤٨م، ساهم في انتخاب نابليون الثالث، أنتسب إلى المحفل الماسوني الفرنسي، أنتخب نائب باريس عام ١٨٦٩م، من المؤيدين لحرب بروسيا ١٨٧٠م انتخب نائباً في الجزائر واصدر قانون بتاريخ ١٨٧٠/١٠/٢٤، أصبح عضواً في مجلس الشيوخ عام ١٨٧٥. العسلي، محمد المقراني، ص,٨٤

٨٩- العقاد، المصدر السابق، ص١٥٧؛ حقي، المصدر السابق ، ص,١٠١

٩٠- خليل، المصدر السابق، ص,٦٢

٩١- عبد الرزاق، المصدر السابق، ص,٢٤٠

٩٢-العسلي، محمد المقراني، ص٨٧-٨٨.